الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

الكلية : الآداب واللغات

القسم: اللغة والآداب العربي

عنوان الليسانس: الأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي

المادة : جماليات السرد العربي القديم

السنة الثالثة

السداسي :الخامس

محاضرات مقياس:

جماليات السرد العربي القديم

الأستاذة: دربالي وهيبة.

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

السنة الجامعية-2021-2022

عنوان المحاضرة: أدب السير

أولًا- نشأة فن السيرة وتطوره :

يعد أدب السير فن أصيل في أدبنا العربي القديم ، ولقد شهد فن السيرة تطورًا مع تطور الأجناس الأدبية العربية، وفي هذا الصدد ستناول الحديث عن أدب السير، ونذكر أبرز أشكاله .

1-تعريف السيرة BIOGRAPHIQUE:

ورد تداول مصطلح السيرة في كتب الأدب والأخبار، وسنتعرض لمفهومه اللغوي ثم الاصطلاحي :

أ-السيرة في اللغة :

ومن التعاريف اللغوية للسيرة في المعاجم اللغوية نذكر: «السِّيرة هي ضرب مِن السَيِّر، والسيّرة الكثير السَّيْر والسِّيرة : السُّنة والطَّريقَة ، والسِّيرة :الهيئة ».

تنحصر الدلالة اللغوية للسيرة في السير والشكل والطريقة ،ومنه فالسيرة في اللغة « هي السنة والطريقة والمذهب، والهيئة وسيرة الرجل صحيفة أعماله ،وكيفية سلوكه بين الناس» .

ونخلص إلى القول بأن معنى السيرة في المعاجم اللغوية العربية تحيل على الدلالات التالية:النوع والشكل أو الطريقة والهيئة، وسيرة الرجل نعني بها مجمل أخباره وآثاره من كتب وأعمال .

ب-السيرة في الاصطلاح :

وأما التعريف الاصطلاحي للسيرة الأدبية « فهي ذلك النوع الموقوف على رواية سيرة حياة لاتمتزج فيها الحكاية مع شخص الكاتب».

نقصد بالسيرة حكاية تتناول قصة حياة علم من الأعلام المشاهير في الفقه أو الأدب أو التاريخ...الخ ، ويُشترط في رواية أحداث السيرة أن لاتكون هي حياة مؤلف السيرة نفسه، وهذا أشهر تعريف متداول لمصطلح السيرة .

2- تطور فن السيرة :

شهد فن السيرة تطورًا ملحوظًا في الأدب العربي القديم،وارتبطت السيرة في التراث الإسلامي بتدوين علم الأنساب وفي مجال أدب السير تعد السيرة النبوية النموذج الأصيل«لفن السير ،ولم تكتب في بدايتها ، ويعود تدوينها إلى القصاصين المسلمين،الذين أرادوا الابتعاد عن القصة الجاهلية،وظلت السيرة النبوية موزعة في الكتب،حتى جاء ابن إسحاق وجمعها وجاء بعده ابن هشام فهذب سيرة ابن إسحاق ولخصها،وأصبحت تنسب إليه، وتعهد سيرة ابن إسحاق بالتهذيب والاختصار ،وحذف بعض الأخبار والأشعار المنتحلة، وصاغها صياغة سردية، وبأسلوب ذاتي ، وتخلى عن الإسناد».

عادت بدايات ظهورالسير العربية إلى السيرة النبوية ؛ فهي النص الأصيل والمؤسس لفن السير ،وارتبطت السيرة النبوية بابن هشام" مع أنَّه ليس هو أوَّل من دونَّها،ومع ذلك كان له فضل في تهذيبها ، وحذف بعض الأخبار والأشعار المنتحلة وصحح نسخة ابن إسحاق في السيرة النبوية من الخرافات والإسرائيليات، وتخلى عن الإسناد، وبذلك أعاد ابن هشام الصياغة السردية الصحيحة للسيرة النبوية بأسلوب جديد«وأصبحت حياة الرسول بعد وفاته مباشرة ،وخلال القرون اللاحقة موضوعًا لعدد كبير من المرويات،ومنهاماتركه محمد بن إسحاق الذي تعد مدونات الصورة شبه الكاملة،لمرويات كثيرة كانت تتداول مشافهة،ويُوصف ابن إسحاق بأنه صاحب السير ورئيس المغازي،ويكشف موقف ابن هشام أن ابن إسحاق لم يكن في منأى عن إضفاء مناخ قصصي على السيرة».

شكلت السيرة النبوية نموذجًا أصيلًا في كتابة السير العربية بعد تصحيح وتنقيح ابن هشام لها، وصياغته السردية لحياة

النبي ﷺ«فكتاب السيرة النبوية للعلامة ابن هشام ،الذي هذب فيه كتاب سيرة الرسول للعلامة المحدث محمد بن إسحاق إذ أنه أول من ألف كتابًا جامعًا في سيرة الرسولﷺ».

مماهو معلوم أ ابن اسحاق هو أول أفرد كتابًا مستقلًا لحياة النبي محمدﷺ لكن عدم ترتيبها ،وتضمها أخبار لاتمت بالنبي ﷺ بصلة جعل ابن هشاميتحرى الدقة في الأخبار الواردة عن الرسول محمدﷺ ويهذبها وينقحها ويرتبها، فأخرجالسيرة النبوية في أحسن صياغة سردية، وتعد السيرة النبوية «النص المؤسس في البناء من حيث الأحداث،وشكلت ثالث نمط لقصص جاهلي مع الطابع القصصي الإسلامي».

تعتبر السيرة النبوية البداية الفعلية لفن السير،حيث قام ابن هشام بتصحيح السير المكتوبة عند ابن إسحاق وهذبها ونقحها من الأخبار المفتعلة عن النبيﷺ ، ومامميز السيرة النبوية عند ابن هشام هو الأسلوب السردي الجميل .

ثانيًا – أشكال السير العربية :

عرف فن السيرة العربية أشكالًا سيرية أربعة ظهرت في أدبنا العربي القديم ، وهي:

1–السيرة الذاتية: AUTOBIOGRAPHIE

ظهرت السيرة الذاتية في بدايات أدب السير، وانتشرت أكثر من غيرها من السير في تراثنا العربي .

أ–مفهومها:إنَّ السيرة الذاتية هي ذلك «النوع الأدبي،الذي يتناول حياة إنسان ما تعريفًا يقصر أو يطول».

ومنه فالسيرة الذاتية هي كتابة أديب لتاريخ حياته بنفسه،وقص جوانب منها في سيرته الشخصية، وذكر أعماله وأهم جهوده وأثارها في الناس، والسيرة الذاتية «تعني حياة يسردها صاحبها،ويُستعمل للدلالة على صنف ذاكرات تشتغل على حياة كُتابها أكثر من الأحداث ،التي شهدوها ،وتعريفها حاليًا يُمثل الاتفاق الدقيق بشأن محكي استرجاع نثري يُجريه شخص واقعي عن حياته،حين يشدد على هذه الحياة الفردية ،ولاسيما تاريخ شخصه».

وبالتالي فالسيرة الذاتية هي سير يكتبها مؤلفها عن نفسه،يتحدث فيها عن حياته وأبرز أعماله،محاولًا تسليط الضوء على الجوانب الإيجابية من حياته،ونجدأن السيرالذاتية هي السيرالتي يتكفل فيها أصحابها بكشف تكونهم الفكري،وهوماجعلها ترتبط بالفلاسفة والعلماء والفقهاء،وتورد المصادر التاريخية سيرًا مبكرة لسلمان الفارسي وسيرة لواقدي».

ومنه فالسيرة الذاتية هي كتابة المؤلف للجوانب الذاتية لشخصيته،وهي تدوين مباشر يميل للمبالغة،والتحيز للذات الساردة في بعض الأحيان .

ب–أقسام السيرة الذاتية :

قسَّم الناقد إحسان عباس السيرة الذاتية إلى نوعين :

ب–1/ الصنف الإخباري المحض : يضم الحكايات ذات العنصر الشخصي سواء أكانت تسجل تجربة أمخبرًا أو مشاهدة كتلك الحكايات،التي يقصها الجاحظ وأبوحيان الصلاح الصفدي وغيرهم، ومجموعة من السير الذاتية مثل: سيرة ابن سينا».

تتناول السيرة الإخبارية الحكايات ذات الطابع الشخصي،وظهر هذا النوع عند الجاحظ وأبي حيان التوحيدي والصلاح الصفدي وغيرهم، وهذا النوع هو الأكثر انتشارًا ،والهدف منه هو سرد أخبار في طابع السيرة.

ب–2/صنف يُكتب التفسير والتعليل والاعتراض والتبرير:ظهر هذا النوع عند ابن خلدون، والغاية من ذلك هي إنصاف الكاتب نفسه أمام التاريخ...ولم تكن الأحداث التي عاشها ابن خلدون أقل تشابكًا واضطرابًا».

نجد أن كتاب السيرة الذاتية يُغفلون الجانب الوجداني لشخصياتهم، ويحاولون التأكيد على الجانب الاعتباري لتكوينهم الذاتي متبعين الأساليب المباشرة في التعبير كابن سينا والغزالي وابن خلدون حينًا،والإيماء والرمز والتلميح كابن طفيل حينًا آخر».

كتب ابن خلدون سيرته الذاتية منتصفًا لنفسه خلال الأحداث ومبررًا لمواقفه التي اتخذها، ومعللًا وشارحًا كل ماوقع له.

إن العديد من الأعلام كتبوا سيرهم الذاتية، وإن اختلفت طرق كتابتهم لها بين التعبير المباشر أو غير المباشر باعتماد الإيماء والرمز ؛ أي بين التصريح أو التلويح.

2-السيرة الغيرية :

تعد السيرة الغيرية أحد أنواع السير التي ظهرت في الأدب العربي القديم .

أ- مفهوم السيرة الغيرية :

تُعرف السيرة الغيرية على أنَّها « بحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ (مميز) وكشف عن مواهبه وأسرار عبقريته من خلال ظروف حياته التي عاشها،والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه».

إن السيرة الغيرية هي رواية لحياة علم من الأعلام ،فتكون نبذة عن حياة شخصية متميزة ، وتتناول أهم أعمالها وآثارها وتسمى السيرة الغيرية بالسيرة الموضوعية وهي «التعريف المفصل بشخص معروف استأثر بالاهتمام ،ونال حظوة بوأته موقعًا مهمًا في عصره ».

نلاحظ أن موضوع السير يتناول فقط المشاهير من الأعلام في جميع المجالات،الذين كان لهم إسهامات وجهود أثرت في الناس عبر العصور ،ويتم تناول الشخصية بأسلوب موضوعي،ولذلك سميت بالسيرة الموضوعية «ونصطلح بالسيرة الموضوعية على التراجم المستفيضة،التي تؤلف كتبًا قائمة بذاتها معروفة المؤلف ،وتحكم السيرة الموضوعية قواعد محددة يتعبها كتابها ،وهي:الوقوف المفصل على شخصية المترجم ».

نسوق على سبيل المثال سيرة الصحابي سلمان الفارسي(ﷺ) التي كتبها الخطيب البغدادي«ومامیّز هذه السيرة أنها أغفلت الجوانب العاطفية؛ ولكنها لم تغفل الجوانب الذاتية الأخرى، ووُجدت فيها تمثيلات جديدة،وصور رحلت النفس بين التجارب الفكرية والدينية».

إنَّ السيرة الغيرية هي ترجمة لحياة الآخرين،مثلما قام به الخطيب البغدادي عندما كتب سيرة الصحابي سلمان الفارسي (ﷺ) فتعد سيرته غيرية اهتمت بحياة الصحابي سلمان الفارسي(ﷺ) وشخصياته ورحلاته، وأهملت الجوانب العاطفية .

ب- العناصر الفنية للسيرة الغيرية:

يمكن أن نوجز أبرز عناصر السيرة الغيرية الفنية فيمايلي:

- وجود الشخصية المميزة الفارقة ذات الصفات الخاصةعلى المستوين الفردي والجماعي
- وجوب تمحور السيرة حول الشخصية الرئيسة فيها،وتصويرها من الداخل والخارج
- عنصر الصراحة مشروط بالصدق والموضوعية
- توفر المعلومات الكافية لتوضيح جوانب حيلة صاحب السيرة».

هذه هي أبرز العناصرالجمالية ،التي يجب أن تتوفر في السير الغيرية،وهي كلها تتمحور حول شهرة الشخصية المتحدث عنها ووجوب تحري الدقة والصدق في نقل أخبارها، ولذلك سُميت السيرة الغيرية بالموضوعية .

ج-الفرق بين السيرتين الذاتية والغيرية:

هناك فروق عديدة بين السيرتين الذاتية والغيرية ، ومنها نذكرمايلي:

* وجود الطابع الذاتي في السيرة الذاتية، والطابع الغيري في السيرة الغيرية .

* السيرة الذاتية هي نقل مباشر للحقائق، وأما السيرة الغيرية ؛ فإنها نقل عن طريق الشواهد والشهادات.

* موضوعية الكاتب في السيرة الغيرية ، وأما كاتب السيرة الذاتية فهو ذاتي .

* كاتب السيرة الذاتية صاحبها وبطلها ،وأما السيرة الغيرية فكاتبها غير صاحبها ؛ أي هو مؤلف آخر».

نلخص أبرز أوجه الاختلاف بين السيرتين الذاتية والغيرية في هذا الجدول:

أوجه الاختلاف	السيرة الذاتية	السيرة الغيرية
الوقائع والأحداث	نقل مباشر للأحداث	نقل غير مباشر للأحداث
الموضوع	حياة الكاتب نفسه	حياة شخصية أخرى
الأسلوب	بروز ذاتية مؤلفها	تظهر فيها موضوعية الكاتب
البطل	المؤلف نفسه	شخص آخر

3- السيرة الشعبية :

اتصفت السير الشعبية بسمة العمومية بالنظر إلى شيوعها ، وكثرة تداولها بين عامة الناس .

أ- مفهوم السيرة الشعبية :

يُقصد بمصطلح السيرة الشعبية « مجموعة الأعمال الروائية ذات سمات فنية متشابهة ، وأهداف متماثلة، وهي فن أدبي قريب من عامة الناس».

إن لغة السيرة الشعبية هي ليست لغة أدبية وفنية عادية مثلما نجدها في أسلوب السير الذاتية ، وإنَّما أسلوب السير الشعبية هو بسيط عادي مناسب لعامة الناس .

ب- سمات السيرة الشعبية :

أثرت السيرة الشعبية في الأدب العربي على مر العصور ،وفي عامة الناس « فأصبح لعنوان السيرة دلالات مهمة في الوجدان إضافة إلى رمزيتها وشخصياتها الخارقة ..وسعت السيرة إلى انتزاع هموم الإنسان،فعمدت إلى استخدام الدعابة والمرح ، وركزت على جانب المفقود لدى الإنسان في كل عصر؛ لذلك تناولت جانب المجون والغنى الفاحش في العصر العباسي ، ويعد الرمز هدفًا للسيرة، وأسلوبًا لنقل جوهرها ».

إن السيرة الشعبية العربية هي عمل سردي له غايته الإمتاع، ويمتاز بخصائص فنية محددة، ومنها أن السيرة الشعبية تناسب ذوق عامة الناس ، وهي موجهة لإمتاعهم، وتشترك معظم السير الشعبية في الرمز وأسلوب الفكاهة والمرح وتميَّز فن السير بخصائص تميزه عن الأجناس الأدبية العربية القديمة،أنها كُتبت بأسلوب بسيط في مستوى متوسط يناسب فهم عامة الناس؛لكون السيرة عمل سردي موجه لعامة الناس ، ومع وجود بعض الاستثناء في بعض السير ،التي جمعت بين أناقة الأسلوب ، وبعض العبارات العامية مع الاحتفاظ بجودة اللغة العربية وسلامتها .

ج-نماذج من السيرة الشعبية: نذكر من السيرة الشعبية مايلي:

- سيرة عنترة: تعد من الملاحم العالمية ،وهي كتاب جامع للمعرفة ،وسجل لمآثر العرب في الجاهلية.
- سيرة سيف بن ذي يزن : عكست موقف الحبشة في الحرب الصليبية».
- السيرة الهلالية : وتسمى كذلك بسيرة بني هلال أو تغريبة بني هلال».

تعد السيرة الهلالية من أشهر أنواع السير العربية،وأجاد الناقد سعيد يقطين في إعادة قراءته لها،وتحليله للبينة السردية لنص السيرة الهلالية،وتتبع أبعاد دلالاتها،ولقد شكلت السير الشعبية القديمة ملتقى الثقافات الإنسانية،فهي امتازت ببعدها الإنساني الضارب في عمق التاريخ العربي .

4- أدب التراجم :

دخل أدب التراجم في مجال السير، وبذلك نشأت علاقة وثيقة بين الترجمة والسيرة .

أ- مفهوم الترجمة TRADUCTION:

الترجمة هي أدب توثيقي استيعادي يتحرى فيه المؤلف إعادة صورة لشخص أوأشخاص استنادًا إلى سلسلة من المرويات».

إنَّ الترجمة هي إعادة كتابة حياة علم استنادًا إلى ماروي عنه، والترجمة هي عمل فني سردي يتناول حياة أديب علم أو مجموعة أعلام (أدباء،نقاد،متصوفة،فلاسفة) ويتوسع فيها المترجم على خلاف السيرة.

اتسع موضوع الترجمة ليشمل الشعراء والنحاة والقراء والصحابة والمفسرين ...وتمثل التراجم جزءًا كبيرًا من الموروث الفكري والأدبي...وتنهض التراجم على قواعد محددة تهدف إلى التعريف الموجز بالمترجم لهاسمًا وكنيةً ولقبًا ،تعقبها وقفة وجيزة على أخباره ونتاجه الأدبي أو العلمي».

ب-أنواع التراجم:

ظهرت الأشكال الأولى للترجمة في تراجم الصحابة، كترجمة سيرة الصحابي أبي بكر الصديق(ﷺ) للواقدي (أبو عبد اللهمحمد) وابن الأثير لديه كتاب" في أسود الغابة في معرفة الصحابة والعلماء كترجمة الذهبي للقراء،وتراجم الأدباء لابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء"، وابن المعتز في طبقات الشعراء، وانتهت محاولات الترجمة إلى وضع الملصقات منها،والتعريف الشامل بطبقات كاملة بالأعلام ».

ظهرت في التاريخ الأدبي تراجم كثيرة للأدباء والعلماء..الخ ،ولكن بداياتها كانت مع تراجم الصحابة رضي الله عنهم .

ج-أسلوب التراجم وخصائصها :

تنسب التراجم إلى قواعد التعريف الموجز بالمترجم له (اسمه،كتابه، إنتاجه..)ومنحت وجهت نظر طابع الترجمة طابعًا ذاتيًا أو أدبيًا،ويتميز أسلوب التعبيربسمات أدبية وفنية ظهرت عند ابن قتيبة،وتراوحت التراجم الأولى بين التوثيق والتعبير(بين التاريخ أو الأدب)وقد حاولت الارتفاع إلى مستوى التخييل،وأضحت الترجمة بذلك طابعًا سرديًا وأسلوبًا تعبيرًا موجزًا».

ومنه فأسلوب الترجمة خاص يميل إلى الإيجاز في التعبير، وتحري الدقة في نقل الأحداث في أسلوب سردي موجز ،وظهر هذا الأسلوب الأدبي عند ابن قتيبة في كتابه"الشعر والشعراء"،حيث ترجم فيه لأبرز الشعراء العرب.

د-الفرق بين السيرة والترجمة: يكمن الفرق بين السيرة والترجمة في:

أ- أن السيرة تحيل على المرويات والمدونات التي عُنيت بشخص الرسول محمد (ﷺ) وكانت الترجمة تُحيل على خلاصات موجزة للتعريف بأعلام الحديث والفقه والأدب...الخ .

ب- ظهرت الترجمة بعد السيرة في تراثنا العربي».

ارتبطت السيرة بتدوين أخبار الرسول (ﷺ) وهي طويلة الحجم ، وأما الترجمة فارتبطت بأعلام على اختلاف تخصصاتهم، وتكون موجزة بأسلوب أدبي.

ومنه إذن نخلص إلى القول بتعدد أشكال فن السير في السرد العربي القديم، وظهرت السيرة النبوية لابن هشام كنص مؤسس للأدب السير ، وعمومًا نستطع القول بأن أدب السير هو موجه للقارئ الخاص باستثناء السيرة الشعبية الموجهة لعامة الناس، ومازال فن التراجم والسير يمارس حضوره فيالأدب العربي الحديث .

قائمة المصادر والمراجع :

أولًا – قائمة المصادر الأدبية واللغوية العربية :

1–المعاجم اللغوية:

1.أبو بكر بن عبد القادر الرازي، معجم مختار الصحاح،تح: الطاهر أحمد الزاوي ،

2 المصنفات الأدبية التراثية:

1. أبو محمد عبد الملك بن هشام: سيرة النبي ﷺ ،مج1،

ثانيًا– قائمة الكتب العربية الحديثة:

1–قائمة المعاجم والقواميس العربية الحديثة:

1. سعيد علوش:معجم المصطلحات الأدبية،
2. فؤاد أفرام البستاني: منجد الطلاب،

2–قائمة المراجع العربية الحديثة :

1. إحسان عباس: فن السير ،
2. حسن علي المخلف: التراث والسرد
3. ركان الصفدي: الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري ،
4. عبد الله إبراهيم : موسوعة السرد العربي،ج2،
5. عبد العزيز شرف: أدب السير الذاتية
6. عبد الله إبراهيم: النثر العربي القديم
7. عصام حسين إسماعيل أبو شندي:نقد النثر العربي في كتابات إحسان عباس
8. فاروق خورشيد: سيف بن ذي يزن
9. سعيد يقطين:السرد العربي"مفاهيم وتجليات "

ثالثًا– قائمة المعاجم والقواميس الغربية الحديثة:

1. بول آرون وآخرون: معجم المصطلحات الأدبية، ترجمة :محمد حمود،